شرح منظومة ابن أبي داود

وقد تواتر نقل المنظومة عن ابن أبي داود رحمة الله فقد رواها عنه غير واحد من أهل العلم كالآجري، وابن بطة، وابن شاهين وغيرهم، وثلاثتهم من تلاميذ الناظم، وتناولها غير واحد من أهل العلم بالشرح

ترجمة الناظم:

اسمه ونسبه وكنيته	هو الإمام العلامة الحافظ شيخ بغداد، عبد الله بن الإمام صاحب السنن أبي داود سليمان بن الأشعث، أبو بكر السجستاني. وذُكر من إنصاف المحدثين أن أبا داود رمى ابنه بالكذب، وأما بالنسبة للكذب في الحديث فهو منه بريء، وقد وثقة الأئمة وعدلوه، وشهدوا له بالإمامة، والورع والعلم؛ وحمل العلماء كلام ابي داود في ابنه على أنه بلى عليه الكذب مرة أو مرتين في كلامه العادي، ومثل هذا لا يسلم منه أحد.
ولادته	ولد الإمام أبو بكر بن أبي داود بسجستان في سنة ثلاثين ومائتين (230 هـ)
نشأته، وطلبه للعلم	سافر به أبوه وهو صغير من سجستان يطوف به شرقاً وغرباً بخراسان وأصبهان وبغداد والكوفة ومكة والمدينة والشام ومصر وغيرها يسمع ويكتب، واستوطن ببغداد، وكان أول شيخ سمع منه محمد بن أسلم الطوسي، وسر أبوه بذلك؛ لجلالة محمد بن أسلم. وكان ذا أهمية عالية منذ صغره في التحصيل والطلب، ومن دلائل هذه الهمة قوله رحمه الله:"دخلت الكوفة ومعي درهم واحد، فأخذت به ثلاثين مد باقلا، فكنت آكل منه، وأكتب عن أبي سعيد الأشج، فما فرغ الباقلا حتى كتبت عنه ثلاثين ألف حديث ما بين مقطوع ومرسل" وكان حافظاً متقناً، قال رحمة الله: "حدثت من حفظي بأصبهان بستة وثلاثين ألف حديث، ألزموني الوهم فيها في سبعة أحاديث فلما انصرفت وجدت في كتابي خمسة منها على ما كنت أحدثهم به".

	ويقول تلميذه أبو حفص ابن شاهين مبيناً قوة حفظه: "أملى علينا ابن أبي داود سنين وما رأيت بيده كتاباً، إنما كان يملي حفظاً فكان يقعد على المنبر بعدما كبر ويقعد دونه بدرجة ابنه أبو معمر بيده كتاب فيقول حديث كذا فيسرده من حفظه حتى يأتي على المجلس"
بعض شيوخه	روى عن أبيه، وأحمد بن صالح، ومحمد بن بشار، وعمرو بن عثمان الحمصي، وإسحاق الكوسج، وعمرو بن علي الفلاس، ومحمد بن يحيى الذهلي
بعض تلاميذه	حدث عنه خلق كثيرون منهم ابن حبان صاحب الصحيح، وأبو الحسن الدارقطني، وأبو حفص بن شاهين، وأبو أحمد الحاكم، وابن بطة، ومحمد بن عمر بن زنبور الوراق، وأبو مسلم محمد بن أحمد الكاتب، ونصف بن علي الوزير، وأبو القاسم بن حبابة
مكانته العلمية، وثناء العلماء عليه	قال الحافظ أبو محمد الخلال: " كان ابن أبي داود إمام أهل العراق، ومن نصب له السلطان المنبر، وقد كان في وقته بالعراق أسند منه، ولم يبلغوا في الآلة والإتقان ما بلغه هو" وقال الذهبي: "وكان من بحور العلم بحيث إن بعضهم من فضله على أبيه"
عقيدته	كان رحمه الله على عقيدة السلف أصحاب الحديث، وليس أدل على ذلك من منظومته الحائية هذه، فإنه قرر فيها ـ وعلى وجازتها ـ مجمل الاعتقاد على طريقة أهل السنة والجماعة. وقد ثبت عنه أنه قال عقب هذه المنظومة: " هذا قولي، وقول أبي، وقول شيوخنا، وقول العلماء ممن لم نرهم كما بلغنا عنهم، فمن قال علي غير ذلك فقد كذب"
مؤلفاته	وصفه الذهبي بأنه صاحب التصانيف، فمن جملة تلك التصانيف: السنن، والبعث، والمصاحف، وشريعة المقارئ، والناسخ والمنسوخ
وفاته	توفي رحمه الله ببغداد في شهر ذي الحجة سنة ست عشرة وثلاثمائة (316هـ) عن سبعة وثمانين عاماً، وقيل صلى عليه زهاء ثلاثمائة ألف إنسان وأكثر، وخلف ثلاثة بنين: عبد الأعلى، ومحمداً، وأبا معمرٍ

	عبيد الله، وخمس بناتٍ

الباب الأول: الاعتصام بالكتاب والسنة ومجانبة البدع

قال ابن أبي داود:

(تمسك بحبل الله واتبع الهدى ... ولا تك بدعيًا لعلك تفلح)

(ودن بكتاب الله والسنن التي ... أتت عن رسول الله تنجو وتربحُ)

"مناقشة الأبيات"

تمسك بحبل الله واتبع الهدى	**هذا الشطر من البيت يتكلم عن "تحديد مصدر التلقي"** **(تمسك)** التمسك في اللغة الأخذ بالشيء والاعتصام به، وهذا مأخوذ من قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ} (لأعراف:170). **تمسك فعل أمر، هل هو للوجوب؟** **الجواب:** الأمر يكون على ثلاثة أقسام: **الأول: من الأعلى إلى الأدنى:** وهو من الله لعباده يجب الإلتزام به كقوله تعالى: "وأقيموا الصلاة". **الثاني: من الأدنى إلى الأعلى:** وهو من العبد لربه، وهذا معناه الرجاء والدعاء، كما في قوله تعالى: "ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا" **الثالث: من المساوي**، وهو من العبد للعبد، فيكون بمعنى الإلتماس، مثلًا أعطني ماءًا. وهنا أمر المصنف للوجوب، لأنه وافق أمر الله. **(حبل الله)** أي القرآن، وقد أمر الله بالإعتصام والتمسك به، فقال تعالى {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ} [(103) سورة آل عمران] **(اتبع الهدى)** أي: السنة، والمعنى: أي ألزم طريق الهدى والرشاد الذي بينه ودل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو خير هديٍ وأكمله، لأن الله أغلق كل باب إلا باب النبي ﷺ، لأن السنة وحي كما أن القرءان وحي {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى} [سورة النجم (3)].
ولا تك	**هذا الشطر: يتناول التحذير من مخالفة الكتاب والسنة**

بدعيًا لعلك تفلح	أي ولا تك بدعياً بترك الكتاب والسنة، لأن من تخلى عن حبل الله وتخلى عن السنة فهو آخذ بسبيل بدعة وضلالة. **(لعلك تفلح)** هذه نتيجة التمسك بالكتاب والسنة واجتناب البدع. **و (لعل)** عند الناظم هنا ليست للترجي؛ لأن من اعتصم بالكتاب والسنة ففلاحه متحقق. **و(الفلاح)** كلمة جامعة لخيري الدنيا والآخرة، وقد قيل لا كلمة في اللغة أجمع للخيرات من كلمة الفلاح، والفلاح لا يكون إلا بالتمسك بالكتاب والسنة والابتعاد عن البدع وإذا تأملت مطلع سورة البقرة وطبقت ما فيها ستصل بعون الله إلى الفلاح.
(ودن بكتاب الله والسنن التي ...	**(دن)** فعل أمر من الفعل دان يدين ديناً. والمعنى: أقم دينك على الكتاب والسنة وآمن وأطع وامتثل ما جاء فيهما، بتصديق الأخبار وفعل الأوامر وترك النواهي. **" والسنن التي أتت عن رسول الله "** والمراد الأحاديث المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الثابتة عنه، الصحيحة.
أتت عن رسول الله تنجو وتربح	قوله: **(تنجو)** لم يذكر من أي شيء؛ ليعم النجاة من كل شر وبلاء في الدنيا والآخرة. وقوله **(وتربح)** المفروض انها مجزومه لكنها رفعت للضرورة الشعرية والربح هذا زيادة على النجاة، فالنجاة رأس المال وفوقه أرباح متعددة في الدنيا والآخرة، بحسب قوة اعتصام المرء بالكتاب والسنة. قال الله تعالى: {قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ} (البقرة:38) وقال تعالى: {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى} (طه: من الآية123) جاء عن ابن عباس ـرضي الله تعالى عنهماـ أنه قال في معنى هذه الآية: "تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة"

ملحق الأبيات

ونتناول الكلام عن مبحثين:

المبحث الأول: وجوب الإعتصام بالكتاب والسنة.

المبحث الثاني: البدعة.

المبحث الأول: الإعتصام بالكتاب والسنة:

تعريف الإعتصام بالكتاب والسنة	التمسك بهما والرجوع إليهما، بمعنى التمسك بالقرءان وبما فيه من أوامر وآداب، وأخلاق
بدأ بهما المصنف قبل بيان الإعتقاد ومسائله	لأنه جرت عادة العلماء من أهل السنة في الغالب على البدء بهذا الأمر، وهذا منهم تحديدٌ لمصدر التلقي في أصول الدين وفروعه؛ ليكون بناء المعتقد وقيامه على أسس سليمة وأصول صحيحة قويمة. وإذا حصل ذلك فإذا وجد العبد البدع، أو تحكيم العقل سيره كدرًت فلا يأخذ منه شيئاً ولا يجعله مصدراً له في دينه وعقيدته، وإنما يتلقى من المنبع الصافي والمعين النقي الذي لا شائبة فيه ولا كدر، فيسلم له بذلك معتقده ويصح إيمانه.
الأدلة وأقوال أهل السنة في الإتباع وترك الإبتداع	وهذا نستفيده مما كان يداوم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبة الجمعة، فكان دائماً يقول في مقدمتها: "أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها...." الحديث. وتكراره صلى الله عليه وسلم لذلك كل جمعة فيه تأكيد على أهمية العناية بهذا المصدر وضرورة رعايته والمحافظة عليه. وقال النبي: "تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدًا كتاب الله وسنتي" قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَوْ كَانَ الدِّينُ بِالرَّأْيِ لَكَانَ أَسْفَلُ الْخُفِّ أَوْلَى بِالْمَسْحِ مِنْ أَعْلَاهُ، وَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَمْسَحُ عَلَى ظَاهِرِ خُفَّيْهِ. وَأَفْتَى عُمَرُ السَّائِلَ الثَّقَفِيَّ فِي الْمَرْأَةِ الَّتِي حَاضَتْ بَعْدَ أَنْ زَارَتِ الْبَيْتَ يَوْمَ النَّحْرِ أَنْ لَا تَنْفِرَ، فَقَالَ لَهُ الثَّقَفِيُّ: إِنَّ

	رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَفْتَانِي فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَرْأَةِ بِغَيْرِ مَا أَفْتَيْتَ بِهِ، فَقَامَ إِلَيْهِ عُمَرُ يَضْرِبُهُ بِالدِّرَّةِ وَيَقُولُ لَهُ: لِمَ تَسْتَفْتِينِي فِي شَيْءٍ قَدْ أَفْتَى فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ, صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ وقال النبي كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَن أَبَى، قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَن يَأْبَى؟ قالَ: مَن أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَن عَصَانِي فقَدْ أَبَى ولكن ننتبه: اذا كنت على الطريق لاتغتر بصلاتك وعبادتك ولابطلبك للعلم، بل دائمًا ادع الله أن يثبت قلبك على طاعته. - يقول ابن القيم: والله ما خوفي الذنوب وإنها ... لعلى سبيل العفو والغفرانِ لكن خوفي أن يزيغ القلب عن ... تحكيم هذا الوحي والقرآنِ ورضاً بآراء الرجال وخرصها ... لا كان ذاك بمنة الرحمنِ فهم يخافون أشد الخوف من الزيغ، عن مالِكِ بنِ أنسٍ قال: كان عُمرُ بنُ عَبدِ العَزيزِ يَقولُ: (سَنَّ رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وولاةُ الأمرِ من بُعدِه سُنَنًا، الأخذُ بها تَصديقٌ لكِتابِ اللَّهِ، واستِكمالٌ لطاعةِ اللَّهِ، وقوَّةٌ على دينِ اللَّهِ، من عَمِلَ بها مُهتَدِيًا بها هُدِيَ، ومن استَنصَرَ بها مَنصورٌ، ومن خالَفَها اتَّبَعَ غيرَ سَبيلِ المُؤمنين، ووَلَّاهُ اللَّهُ ما تولَّى) وقال الأوزاعي: "ندور مع الكتاب والسنة حيث دارا"، ولا يحدثون شيئاً من قبل أنفسهم. لذا مَن اعتز بدين الله أعزه الله، وكما قال الشافعي: "ما من نازلة إلا في كتاب الله حلها علمها مَن علمها، وجهلها مَن جهلها". يقول شيخ الإسلام رحمه الله: "ليس الاعتقاد لي ولا لمن هو أكبر مني، الاعتقاد لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم". فمن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التصديق والتسليم.

الهداية الواردة في القرءان والسنة على قسمين:

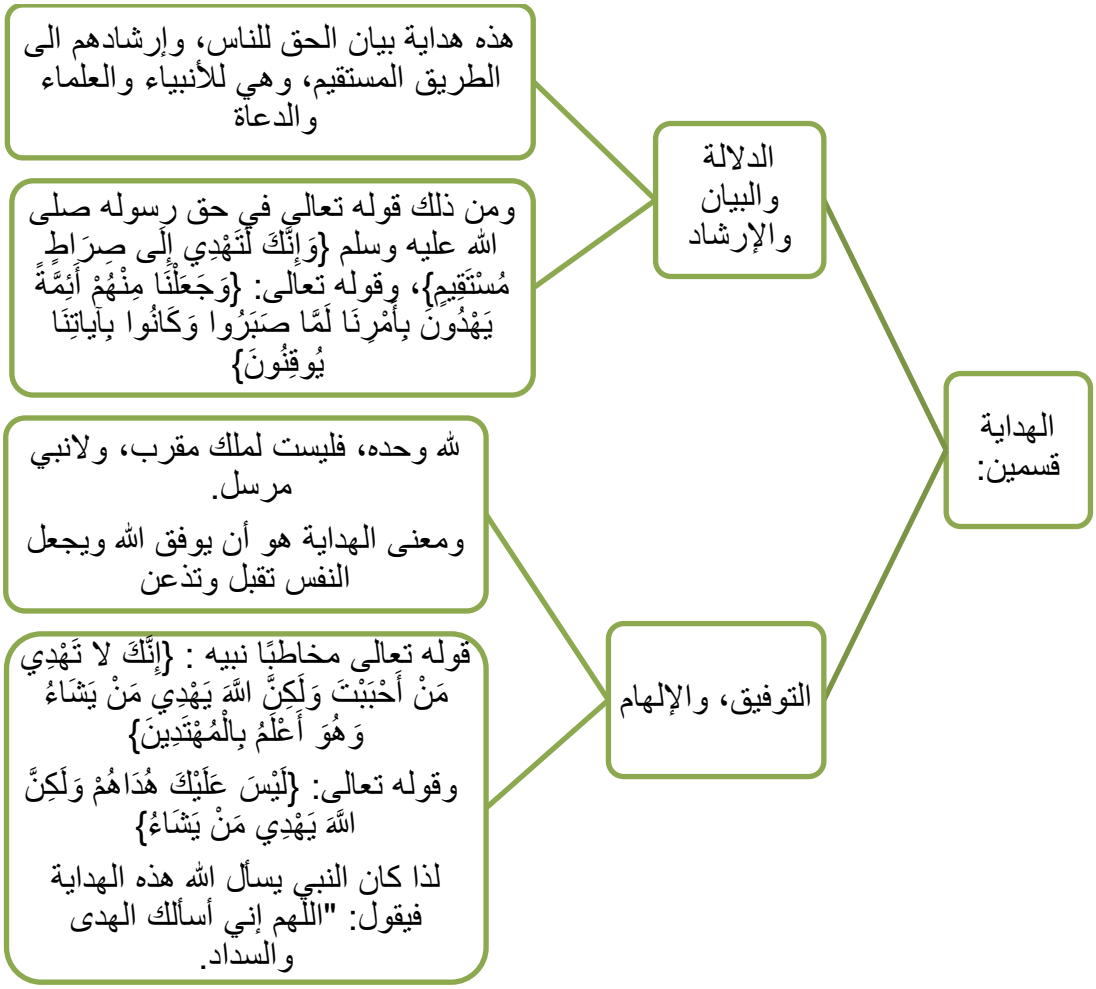

المبحث الثاني: البدعة

عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- أن عمر بن الخطاب أتى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فغضب فقال: أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب! والذي نفسي بيده، لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق، فتكذبوهم به، أو بباطل فتصدقوا، والذي نفسي بيده، لو أن موسى -صلى الله عليه وسلم- كان حيًّا، ما وسعه إلا أن يتبعني.

قال ابن حزم وما ظهرت بدعة إلا وأميتت سنه

وقال النبي: ان الله حجز التوبة عن كل مبتدع، والمقصود ما دام على

بدعته.

وقال تعالى ذاما ورهبانيه ابتدعوها ما كتبناها عليهم ..

" ومن نظر إلى عامة أهل البدع وجد أن منشأ ضلالتهم هو عدم التمسك بالكتاب والسنة، إما بالاعتماد على العقول والآراء، أو المنامات، أو الحكايات، أو غير ذلك مما جعله أهل الأهواء مصدراً لهم في الاستدلال عن الإمام أحمد رحمه الله أنه قال: "ما ارتدى أحدٌ بالكلام فأفلح"؛ وعندما ناظر الشافعي بشراً فتغلب عليه وخرج بشرٌ قال الشافعي: "لا يفلح وقد قال الصوفيه متنقصون أهل السنه أنتم علمكم ميت عن ميت ونحن علمنا عن الحي الذي لايموت.
يقصدون السنه فلان عن فلان من رواة الأسانيد.

والمبتدع له معاملة تليق به، وهي التشديد عليه وعدم اللين معه، كما قال القحطاني في نونيته:
لا تلقَ مبتدعاً ولا متزندقاً ... إلا بعبسة مالك الغضبانِ
لأن المخالفة في الابتداع أعظم بكثير من المخالفة في المعاصي التي سببها الشهوة، لأن مقالته مبنية على شبهة، لوثت تفكيره، وغطت عقله عن سماع الحق، وأهل العلم يقررون أن توبة العاصي قريبة بخلاف المبتدع قليلة، لأن الشيطان يسول له ويملي له أنه هو الذي على الحق
قال الثوري: البدعة أحب الى الشيطان من المعصية

ابراهيم بن أدهم قال: لأن أدخل المسجد فأجد فيه شعله من النار تحترق خير لي من أن أجد فيه بدعة

الشعبي عن الروافض : هؤلاء أخبث من اليهود والنصارى، قيل لليهود من أفضل الناس قالوا مَن صحبوا موسى وقيل للنصارى من افضل الناس قالوا: مَن صحبوا عيسى، وقيل لهؤلاء من أخبث الناس قالوا أصحاب محمد

تعريف البدعة

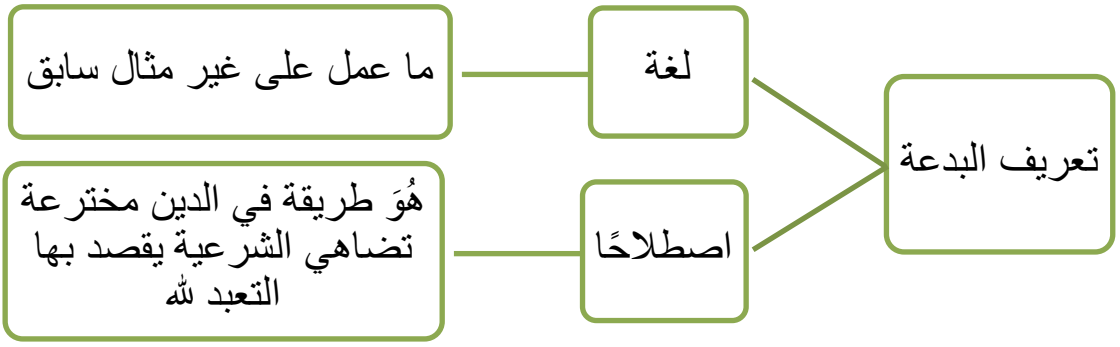

أنواع البدعة

أقسام البدع بحسب ما تقع فيه

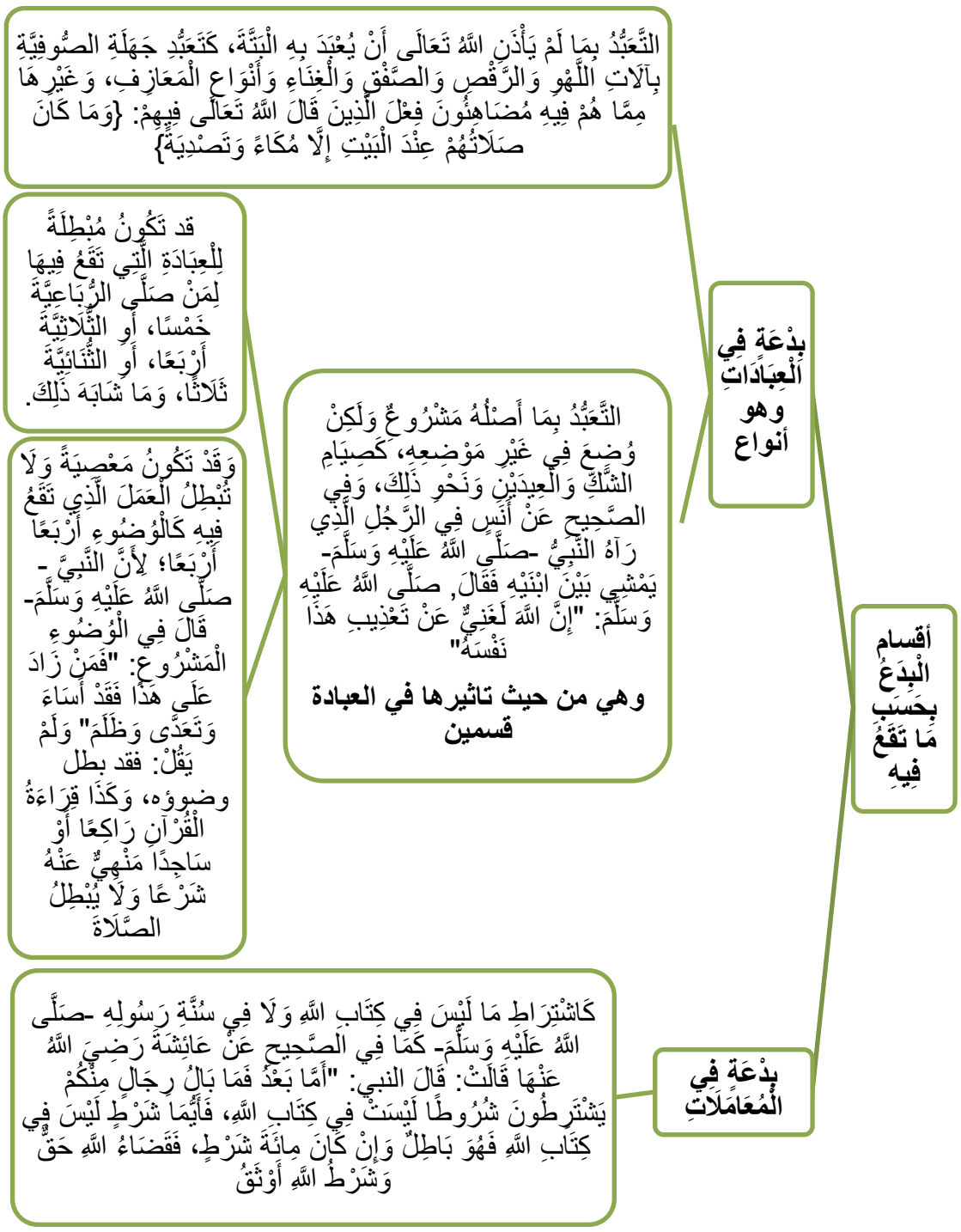

البدعة الحسنة:

الذين قسموا البدعة الحسنة وسيئة منهم العز بن عبدالسلام سلطان العلماء، وكلامهم باطل،

ومن أقوى ما يستدلون به ويتمسكون به قول عمر -رضي الله تعالى عنه- في صلاة التراويح: "نعمت البدعة" أن عمر -رضي الله تعالى عنه- جمع الناس على إمام واحد في صلاة التراويح، ثم خرج إليهم وهم يصلون

فأعجبه وضعهم بعد أن كانوا يصلون متفرقين، كل واحد يصلي لنفسه جمعهم، فقال: "نعمت البدعة، والتي ينامون عنها خير منها" يعني صلاة آخر الليل
قالوا: ما دام عمر يقول: نعمت البدعة فدل على أن من البدع ما يمدح؛ لأن (نعم) حرف مدح، أو فعل على الخلاف بين أهل العلم، وكذلك ضدها (بئس) التي هي للذم، وما دام قال: "نعم" فهو يمدحها، وهو يمدح البدعة، إذاً في البدع ما يمدح، وهو المستحسن منها.

الرد عليهم من وجوه

الأول: أن البدعة طريقة مخترعة في الدين، ليس لها أصل، وصلاة التراويح صلاها النبي -عليه الصلاة والسلام- بأصحابه ثلاث ليالٍ جماعة، ثم بعد ذلك لم يخرج إليهم خشية أن تفرض عليهم، لا نسخاً لها ولا رغبة عنها، فمشروعيتها باقية.
الثاني: قول عمر: نعمت البدعة، من باب المشاكلة في اللفظ، لما قيل له بدعة فقال نعمت البدعة هذه. شيخ الإسلام -رحمه الله- في اقتضاء الصراط المستقيم يقول: هذه بدعة لغوية. والشاطبي يقول: "هي مجاز وليس بحقيقة". كما في قول الله -جل وعلا-: {وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا} [(40) سورة الشورى] السيئة الأولى حقيقة، الجناية حقيقة، جزاؤها ومعاقبة الجاني سيئة وإلا حسنة؟ حسنة، إذاً لماذا أطلق عليها سيئة؟ من باب المشاكلة والمجانسة في التعبير وهذا موجود في النصوص، وفي لغة العرب. قالوا: اقترح شيئاً نجد لك طبخه ... قلت: اطبخوا لي جبة وقميصاً مشاكلة وإلا الجبة والقميص ما يمكن أن تطبخ.

الرد على القرءانيين: والذين يقتصرون على الصحيحين والمعتزلة الذين يردون خبر الاحاد في الاعتقاد

(القرآنيين) الذين يقولون: نحن لا نأخذ إلا بالقرآن، ومن كان كذلك فهو ليس بآخذٍ حتى بالقرآن؛ لأن الله قد أمر في كتابه في آيات عديدة بالأخذ بالسنة والتمسك بها، ولذا لا يكون العبد متمسكاً بالقرآن إلا إذا أخذ بالسنة، فلا بد من الأخذ بالأمرين معاً.
قال الله تعالى آمراً أمهات المؤمنين: {وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفاً خَبِيراً} (الأحزاب:34)
وقال سبحانه: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} (الحشر: من الآية7)

الاقتصار في مصادر التلقي على القرآن والصحيحين فقط

هناك جمعية وجماعة سموا أنفسهم جماعة الاقتصار على القرآن والصحيحين
وفكرهم فيه تضييع وإهدار لقدر كبير مما ثبت عن النبي -عليه الصلاة والسلام- خارج الصحيحين، فالتدين على هذه الطريقة ناقص، فقد يكون في غير الصحيحين ما هو ناسخ لما في الصحيحين، وقد يكون في غير الصحيحين ما هو مخصص.

المعتزلة الذين لايقبلون من السنة إلا المتواتر في العقيدة، ويرفضون حديث الآحاد:

هؤلاء مبتدعة، خالفوا الشرع، لأن أكثر الأخبار جاءت بطريق آحاد، ورسل النبي -عليه الصلاة والسلام- إلى الملوك وغيرهم أفراد، والاستدلال على حجية خبر الواحد وإن كان فرداً واحداً فضلاً عن أن يكون عدد أكثر من أن تحصر، وعلى هذا درج الصحابة بعد أن أرسل النبي -عليه الصلاة والسلام- إلى الآفاق أفراد يعلمونهم الدين، وينقلون لهم أخبار النبي -عليه الصلاة والسلام-، وأرسلهم إلى الملوك ليبلغوهم الدين، ويقيموا عليهم الحجج، وهم أفراد، وهدف المبتدعة حينما ذكروا أن الآحاد لا يحتج به إهدار أكثر الأحاديث النبوية، بل المتواتر لا يبحثه أهل الحديث،

الحمد لله